

الشاعر المبدع فاضل السلطاني

يختتم أمسيات المقهى الثقافي العراقي في لندن لهذا العام



لندن/ خاص

أنهى المقهى الثقافي العراقي في لندن سنته الثانية، وبحضور نوعي وكمي معتبر من رواده الكرام، فقد بدأ خطوته الأولى قبل عامين، وهو يحاول ان يقدم المتنوع في عالم الثقافة، وي طرح الأسئلة التي تشغل بال العديد من رواده والمساهمين في أمسياته، من المبدعين الذين أغنوا تلك اللحظات المتألقة بنبض المعرفة والفن والأدب. كما تناول بعض الفعاليات واقع الثقافة في بلادنا ومايجب القيام به من اجل النهوض وإزاحة التركة الثقيلة التي ورثها العراق من عهود التسلط والقمع والدكتاتوريات المتتالية. كان جمهور المقهى يزداد مع حماسة وهمة العاملين في المقهى وتتكاثر الجهود وتتشابك الأكف من اجل خلق مناخ ثقافي نافع ومناسب وعكس ما نملك من طاقات مبدعة هنا في العاصمة البريطانية (لندن) وما يقدمه كذلك مبدعونا الذين يتصلون بالمقهى من بلدان أوروبية مختلفة، فأمسيات المقهى تنتعش عموماً بمشاركة الحضور بالنقاش والأسئلة والمقترحات وتنمو في جو ديمقراطي مفتوح، لأن شغيلة المقهى يصرون على مشاركة الجمهور في تنويع وتطوير العمل والمبادرات ومطالبتهم في إبداء الرأي في عمل المقهى .

في أمسيته الأخيرة لعام 2012 ، قدم المقهى الثقافي العراقي في لندن، الشاعر العراقي المبدع (فاضل السلطاني) في قراءة لمجموعة من قصائده المتنوعة. إذ إفتتح الكاتب والروائي العراقي اللامع (لؤي عبد الإله) أمسية الشاعر في الحديث عن تجربته وتطور أدواته ومفردات قاموسه الشعري بتركيز شديد وبخطوط عامة ، كما أشار الى ملامح قصائد الشاعر الأخيرة التي رأى فيها النبرة الخاصة المنفردة والصوت الواحد، بدل روحية قصائده السابقة، حيث يغلب عليها صوت النحن او المجموع، حسب تعبيره، وخاصة في ديوان الشاعر الأخير (ألوان السيدة المتغيرة) ثم أشار الى علاقة قصيدة (بابل بابلون) ب (الأرض اليباب) للشاعر البريطاني - الأمريكي (ت. أس . إليوت) والتي تتحدث أيضاً عن الخراب . لكنه أكد ان التطابق هو بمعنى الإستفادة وليس الإستنساخ، اي انه وظّفَ الفكرة لموضوعة قصيدة (بابل بابلون) هذه.

قرأ الشاعر عدداً من قصائده تلك ، قوطعت اكثر من مرة بتصفيق وإستحسان الحاضرين.

ومن مقاطع هذه القصائد :

ألوان السيدة المتغيرة

زرقاء كنت تحت ذراعي

وكان الثلج الأزرق يمطر

زرقاء أنتِ

كأن السماء قبعتك

وكان الليل الأزرق يمطرُ

نحن في المنتصف الآن

أنسرغ أم نعود؟

العشب الناهضُ

يرقبُ أن ندخله

والفجر الأبيضُ

ينتظرُ أن نبغاه

نحن في المنتصف الآن

وأنت تكبرين تحت ذراعي

مع الليل والعشب

كنت أريد أن أرى عينيك

بين الأزرق والأبيض

لكني رأيت دمعين في عيني

تذكرتُ شاعراً وحيداً

أحب فقتلته الموسيقى

أما قصيدة (يد)، فقد كتّفت رعب الحرب والأحلام ومناخ الحياة وقتها، ومن مقاطعها هذه الكلمات البليغة :

يد

يَدٌ تَدَقُّ عَلَى النَّافِذَةِ

لَعَلَّهَا يَدُ الْمَطْرِ

لَعَلَّهَا يَدُ طَائِرٍ غَرِيبٍ

يَدٌ بَلَ أَسَابِعِ

لَعَلَّهَا يَدٌ عَائِدَةٌ مِنَ الْحَرْبِ

يَدٌ مَتْرِبَةٌ

لَعَلَّهَا يَدُ أَبِي

أَلَا تَسْمَعِينَ؟

هَنَّاكَ يَدٌ تَدَقُّ عَلَى النَّافِذَةِ

يَدٌ تَتَكَوَّنُ

يَصْعَدُ فِيهَا الدَّمُ

يَدٌ بِيضَاءُ

لَعَلَّهَا يَدٌ أَضَاعَهَا اللَّهُ

لَعَلَّهَا يَدٌ هَرَبَتْ مِنْ سَرِيرِ الْحَبِّ

اصغِي!

هَنَّاكَ يَدٌ تَدَقُّ عَلَى النَّافِذَةِ

لَعَلَّه جَاءَ آخِيراً

مَتَعِباً مِنْ جَمَلِ الصَّبَاحِ

وَحَمَلِ الْمَسَاءِ

يَدٌ تَتَنَفَّسُ

تَجْمَعُ رَاحَتَهَا

كأنها تمتصّ النافذة

كأنها تمتصّ البيت

ثمّ تدقُّ

افتحي النافذة

هناك يدٌ تدقّ

.....

.....

.....

يدٌ تبحث عن أختها

يدٌ تموت من الوحدة

في العالم الملىء بالأيدي

الطويلاتِ الراقصاتِ كالبجعات

يدٌ وحدها تدقّ

يسمعها الله في وحدته

تسمعها الذناب في البراري

لعلها يدٌ هربت من الحرب

لعلها يدٌ أضاعها الله

لعلها يدك

لعلها يدي

أزيحي الغطاء

ودعيها تتم

هنا، بيني وبينك

في منتصف السرير.

.....
لماذا تغلقين النافذة ؟

وفي قصيدة (صورة) يجسد شاعرنا تلك التداخلات في الذاكرة والواقع والصورة الحقيقية مع ما هو مرغوب بإشتهاء. صورة تشبه النظر من أكثر من منظور ونقطة تلاشي، ومشاعر ملتهبة، لنقرأ بعض مقاطعها :

صورة

هل تذكرين ؟

كنت في وسط الصورة

وعلى جانبيك كانت الموسيقى تعزفُ

كأنها الموسيقى الأخيرة على الأرض

وكنتُ أحرار

كيف أميز العازفَ من العزفِ ؟

والراقصَ من الرقصِ ؟

كنتُ تجلسين وسط الصورة

لاهيّة عن الموسيقى،

عن لحظة تبتتِك إلى الأبد

صورةً في إطار

وكنتُ أحرار

كيف أدخلُ في الصورة ؟

كيف أفصلُ النورَ عن الظلِّ ؟

لكنك كنتِ تبسمين

لاهيّة عن اللحظةِ

وهي تكبر خلف الإطار.

غير إنني، وأنا في غرفتي المعتمة،

أراك أحياناً

تسليين من الصورة
مثلما ينسل اللحن من العازف،
والنغمة من الموسيقى،
والخطوة من الراقص،
ثم تدخليين إلى الضوء .. كي تحترقي

* كيف أعرف الراقص من الراقص؟ (وليم . بتلر . بيتس)

وفي قصيدة (العودة) ، يؤكد الشاعر ثباته وموقفه من الأشياء ويخبرنا بعدم تبدله رغم تبدل الأزمنة والشروط وصعوبة الرحلة وقساوتها بكل مرارات الحياة في المنفى . وهي نص رصين لشاعر يعرف تكاليف المواجهات الصعبة :

العودة

سأعودُ

قد يعرفني النخل المقطوع الأعناقِ

وبعض الأشجارُ

قد تعرفني بعض الأحجارُ

سيحييني بعض الطيرِ

اللابد في الوكناتِ.

سأقول: صباح الخيرُ

ها أنذا عدتُ

ما زلت كما كنتُ

قد يعرفني بعض الأمواتُ

فيزيح التراب عن القبرِ

- سلاماً ..

أين رحلت طويلاً؟

ما زلتَ كما كنتَ

كأنك متَّ

فما مرت في البعد عليك حياة.

سأعودُ

سأمشي مرحاً في الأرضِ

ستعرفني أُمي

وسيخضُلُ العشبُ على القبرِ

سأقول: مساء الخيرُ

هاأنذا عدتُ

ما زلتَ كما كنتُ..

أين أُمي؟

سأجمَعُ بعضَ قصائدِ كانت أخفتها الريحُ

عند النهزِ

سأقول: صباح الخيرِ

أيتها الكلمات

أتذكرتِ الشاعرَ في خلوته؟

سأللم بعضَ صباي المتناثرِ في الحاراتِ

سأقول: مساء الخيرِ

هل تعرفني؟

ها أنذا عدتُ

ما زلتَ كما كنتُ

.....

.....

ها أنذا عدت إليك
سأعود لذاك البيت
سأقول: لك الله كم موتاً مرّ عليك!
ستصطف الأشجار على الصفيح
سيحييني الشجر الأشرف منتصب الأعناق
سيفيض النهر
سترقصه الريح
سيبتل قميصي
وسينفتح البيت
سأقول: مساء الخير
ها أنذا عدت

ما زلت كما كنت كأني مت
فما مرت في البعد عليّ حياة

قد يعرفني بعض الأموات

وفي (امي)، تتجسد روح الإبن والشاعر وتختزل المسافات بين الكائنات وما بعدها :

أمي

أنت هنا في غرفتي الصغيرة

النقطة الأقرب في الكون إلى السماء

أسمع طول الليل ، يا أمي،

صلاتك الأخيرة

والمس الجبين، وهو ينحني، إلى الإله

أنت هنا، أيتها الميتة،

في غرفتي الصغيرة،
النقطة الأقرب في الكون..
إلى الحياة.

ما أجمل العالم في منتصف الذاكرة!
ما أجمل العالم في منتصف الذاكرة!
أنت لم تذهبي بعد.

شعرك ينحني فوق المائدة،
يطول أو يقصر،

يعود الجنود من الحرب،
ويعودون إلى الحرب،

يكبرون في الموت،
وينجبون بناتٍ مثلكِ

فارعات كالآلهة
وأنت هنا

لم تذهبي بعد.

.....

.....
وأنت هناك،

في حديقة الطفولة الصغيرة،
تدخلين وتخرجين،

تلونك النباتات،
وتلهو بك العصافيرُ

حتى تنفق من الحب،

وأنت ما تزالين هنا

تمدين أصابعك إلى منتصف العالم

.....

.....

حديقة الشيوخة الصغيرة،

في منتصف العالم،

في منتصف الموت

حتى يجوع التراب.

ابقي هنا

إلى أين ستذهبين؟

ما أجمل العالم في منتصف الذاكرة!

كانت قصيدة بابلون من أبرز قصائد الأمسية وأكثرها تأثيراً على السامعين. وتختلط المشاهد والرؤى فيها بين ماضٍ وحاضر وبين أحياء وأموات ، كما تتداخل الأماكن والزوايا وبطريقة كرسالية مبهرة، تدفعنا من قوة كلماتها وعمقها الى التأكد من أننا نجلس في مكان واقعي . تدخل لندن في بابل ونهر التيمز مع الفرات ويتبادر البشر المواقع والأدوار ...

بابل.. بابيلون

.. وكان المعني يعني

أغاني مرمية في شريط قديم

- أتذكر ذات صباح

كم تدافعتَ والوحشَ فوق التيمز

لتشربَ قطرة ماء..

ورأيتَ العرقى ؟

- كأنهم مسحوا الآنَ بالزيتِ أجسادهم

كم جميلين كانوا!

وهم يرفعون الرؤوس
لكي يحرسوا الشمس حتى تغيب
وتعودَ برائحة الوحشِ والطينِ
والنبتِ فوق الفرات
- أو هم يحنون على قطرات الماءِ ظهورهم،
يكسوهم ريش الطيرِ،
قصباتٍ تومض تحت الشمسِ..
جميلون هم الموتى!
- أولم يمت الموتى؟
- وجميلين كنا
على نهرِ بابل.. تذكرُ؟
غير إنك يا صاحبي
قد تفرعتَ مثل المياه
ورأيتك ذات صباح
تتمرى مع الميتينَ الجميلينَ فوق الضفاف
وأنتَ تسربُ ماءكَ بين الأساطيرِ
قلتُ: أراك قريباً
- كم حبيبينَ كنا!
لعبنا طويلاً
على الضفتينِ
كبرنا معاً..
وانشطرنا لنصفينِ
وكان المعنى يغني:

أحبك حتى لتوجعني القبعة "1"

فيلتقط العابرون

قطراتٍ من الحُبِّ تسقط فوق الرصيف

وتهرب امرأة للفرات

لتموت من الحُبِّ.

- تذكرها؟

- أذكر الجسرَ،

وقفتها على الجسرِ، ثقلَ تلك السماء على كتفيها،

ثم ففرتها..

وتموجُ ذاك الجسد،

وموسيقاه وهو يبحرُ فوق المياه السعيدة.

أذكر اللاأحد

وهو يغمض عينيه ثم يسيرُ

وكان المغني يغني:

متى سوف تكتملين؟ "2"

كم من الموتِ سوف تحتاجين مني لتكتملي؟

.....

.....

وعلى النهرِ ينسابُ شيء من الدمِ..

كان بلونكِ.. هل كنتِ أنتِ؟

وعلى النومِ شيء من الدمِ

يُشبهه وجهي.. هل كنتِ أنا؟

هل تقولين شيئا

عن الدم فوق المياه؟

هل تغنين شيئاً

عن الدم فوق السرير؟

عن الدم فوق الأغاني؟

بابلون..

بابلون..

- لا تجر يا تيمز "3"

لا تجر يافرات

سأحتاج نهرين حتى أغني:

السفان تبحرُ

والكلمات ستبقى

حيث يسقطني

حبك الذهبي

كقنديل ضوءٍ على العشب "4"

لا تجر يا تيمز

لا تجر يافرات

سأحتاج أغنيتين

لأكمل أغنيتي

وسأحتاج شيئاً من الموتِ

كي أبدأ الأغنية :

بابلون

بابلون

- كم بابل أنت؟

كثيرةً أنتِ

رأيتك في روما،

في نيسانَ،

شهرِ الموتِ،

في غرفة مايكل انجلو

وأنتِ تنهضين في الصباحِ..

رأيتِ الله ولم تموتي.

وتعثرتُ بالضوء في باريسَ

قلتُ: أنتِ

كنتِ مرميةً في الكنائسِ،

في بيغال "5"

وكان جاك بريل يغني "6"

أنتِ العاهرة الأولى،

حارسةً بيتِ الربِّ،

زوجةً الموتِ أنتِ.

وكنتِ في برلينَ

مانيكان الله في المخازنِ،

ورائحةُ الماءِ فوق شعركِ،

ثمَّ سألتني:

ألم تمتِ معي هناك؟

كيف فتحتِ القبرَ؟

ما الذي تبتغيه هنا؟

كنتُ أتبعكِ

من النهر للنهر

ورأيتك مرة في شارع بنيويورك قبل أعياد الميلاد بيومين.. كنت تسابقين الموتى بثيابك الجديدة لركوب الحافلة، ومرة في سفينة تنقل مسز بيل "7" من الفرات إلى التيمز

.....

على قارب الموتِ

قلت: تعودين يوماً

حكمة الميتينِ على كتفكِ

- ولكنني لم أمت

ربما متّ بعض زمانٍ

في مكانٍ..

لست أذكر ..

من أنتِ؟

كم تكاثرتِ أنتِ!

.....

.....

متُّ كثيراً

وكنّت تتبعني

كنت أعرف أنك تتبعني

غير إني مضيتُ

كيف أنظرُ خلفي وأنتِ أمامي؟

كيف أبصرُ خلفي وأنتِ أمامي؟

وكان المعني يغني

أغاني مرميةً في شريط قديم

فيلتقط العابرون الوحيدون فوق الرصيف

قطرات من الحبّ تندسّ بين الشباب

ثم يمضون.. إثنين

إثنين .."

ثم جرت مناقشات جادة حول طبيعة القصائد ونوعيتها وحتى علاقتها بالعناوين ومقدمة الكاتب (لؤي عبد الإله) وغيرها من إشكالات النص الشعري وتعقيدات الشروح والتأويل وغير ذلك، حيث تحدث الكاتب والصحفي النشيط (عدنان حسين أحمد) الذي عارض بعض طروحات مقدم الأمسية خاصة معنى الصوت المفرد والصوت العام أو الجمعي وأكد على أن يكون الشاعر صوتاً موضوعياً لما يجري وبالتالي معبراً عن الجموع وليس الفرد، وقد أشار أيضاً إلى إستفادات الشاعر من بعض الشعراء البريطانيين و طرح الفنان المسرحي يوسف بعض تساؤلاته حول روحية القصائد ومواضيع الحب عند بعض الشعراء وعند شاعر الأمسية وساهمت إحدى السيدات في الحديث وتمنت لو تم ربط ما جرى لبابل مع ماجرى للعراق عام 2003 وغيرها من المواضيع التي أغنت الأمسية والحاضرين، كما رد الكاتب المقدم والشاعر على بعض توييلات الحضور وأسئلتهم وأكدوا على ان النصوص كانت تشير الى ما أراد المساهمون في النقاش أن يجذوه فيها، ولكن هذا كان بطرق مختلفة عن الإسلوب المباشر والوصفي المتعارف عليه .

وتمنى العاملون في المقهى أن يلتقوا في العام القادم مرة أخرى بروادها متمنين للجميع عاماً جديداً وسعيداً ولبقية الناس الخير والإزدهار.

1- لوركا

2- تي.أس. اليوت: "أغنية الفريد بروفروك"

3- اليوت: " اجر يا تيمز بهدوء"، وقد حورها البياتي إلى " لا تجر يافرات"

4- الشاعرة اليونانية الكسندرا بلاستيرا

5- بيغال: شارع العالم السفلي في باريس

6- جاك بريل (1929-1978)، مغن وشاعر بلجيكي. قضى نصف حياته في باريس

7- مسز بيل: البريطانية جيرترود مارغريت بيل (1868-1926)، المعروفة (1868-1926)، الملقبة ب"صانعة الملوك"، وهي التي نصبت فيصل الأول ملكاً على العراق (1921)، وأنشأت المتحف الوطني العراقي. ماتت في بغداد، ودفنت في المقبرة البريطانية.